تقديم

يعد هذا الكتاب مرجعاً صادقاً في تاريخ الزخرفة الإسلامية بمدارسها الأربعة التى تعد السراج المنير الذى وصل الحضارات العالمية ودفعها إلى مراتب الرقى بما امتازت به من الدقة والإتقان المفرط وقد عمرت المدنية الإسلامية طويلاً لما تمتعت به من التشدد فى الحق والمساواة الكاملة فى الحقوق والواجبات ورعاية لحق الله تعالى على ولاة المسلمين . وبقيت آثار هذه المدنية على طول الزمان تشهد للمسلمين بسمو ما شيدوا وما عمروا .

وقد راعيت من خلال صفحات هذا الكتاب أن يتم عرض أكبر قدر من الزخارف الإسلامية المميزة للمدارس الأربعة حتى تكون فى متناول يد كل من الفنانين والحرفيين والدارسين ومن لديهم هواية التطريز وتصميمات تصلح لزخرفة القماش أو السجاد وغيرها من المنتجات المعاصرة لما فى هذه التصميمات الزخرفية من الدقة التامة وتوفر جميع عناصر العمل الفنى السليم كما يضم الكتاب تفصيلاً وتحليلاً للزخارف الإسلامية الهندسية المميزة والتى تبدو لأول وهلة على درجة فائقة من الصعوبة ولكن بعد تحليلها تصبح فى غاية البساطة ويمكن تنفيذها بنفس الدقة والإتقان إذا ما اتبعت ا لقواعد الواردة بالكتاب فى رسمها بالطريقة الصحيحة .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى عرض بعض روائع هذا الفن حتى تكون مرجعاً بين يدى كل من يحتاج إليها .

والله ولى التوفيق

عنايات المهدى

١٩٩٢/٢/٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

إن شريعة القرآن شريعة اجتماعية كما أنها روحانية أيضاً و لم تدع الشريعة الإسلامية أى من أى من مظاهر الحياة الاجتماعية دون التعرض لها .

ولذلك فإن الفن الإسلامى كان لابد أن يقام على أساس مبادىء وتعاليم القرآن الكريم

فمن أهم القرائن الواردة بتعاليم القرآن الكريم التحريم الكامل على فن التصوير كما يتضح ذلك فى المساجد أو فى الكتابات والزخارف المحيطة بالآيات القرآنية التى نجدها مبهرة وملفتة للأنظار وهذا يوضح اختلاف النزعة الفنية للعالم الإسلامى عن الفن المسيحى الذى كان يهتم بتصوير الأشخاص ورسمها على جدران وسقوف الكنائس لذلك نجد أن الفن الإسلامى كان منصبا على الزخرفة وخلف لنا منها العديد من النماذج الرائعة التى أبهرت العالم أجمع بدقتها وإتقان تنفيذها . واحتوائها على القوانين الفنية الجديرة بالدراسة والاستفادة منها . نشأ الإسلام فى الجزيرة العربية فى بيئة بدوية حيث تاجر المسلمون فى الأقمشة والمنسوجات والبسط والصبغات وكانت هذه المنقولات الأساسية التى عرضت الفن الإسلامى على سائر بلاد العالم وكذلك عرضت أساليب التنفيذ التى اتسمت بالدقة والنظام والتى كانت تقتصر على الزخرفة فى البداية حسب تعاليم القرآن الكريم . وسرعان ما انتشر هذا الدين القويم من الصين وجزر الهند الشرقية شرقا إلى الأندلس غربا ومن أواسط أوروبا شمالا إلى أعماق أفريقيا فى الجنوب ونظرا لسعة هذه الرقعة وتنوع الشعوب بها فقد تأثرت

الفنون الإسلامية بالتقاليد الفنية المتوازنة لهذه الشعوب التى ارتضت الإسلام دينا . حيث بدأ هذا التأثير فى بداية النمط الإسلامى إلا أنه أسرع نحو تكوين شخصيته المتميزة وتأسست عناصر الفن . فأنار العالم بعلومه ومعلوماته الطريق وأثرت حضارة العرب إلى أبعد الحدود فى علوم عصر النهضة وأخذ الأوربيون عن المسلمين آخر ما وصل إليه تقدم العلم والمعرفة فى الصناعات الفنية مثل صناعة النسيج والصباغة والمعادن على اختلاف أنواعها والمشغولات الجلدية وأعجب الأوربيون بالخط الكوفى والزخرفة .

وخاصة عندما طرد العرب من الأندلس واستوطن مهرة الحرفيين منهم جنوب فرنسا وبعض الجزر المجاورة لإيطاليا والبندقية وأسسوا فيها الحرف الفنية المختلفة .

ومما أثر فى سمات الفن الإسلامى الحالة الاجتماعية فكانت لمساواة الناس أمام الله أثرها العميق فى احترام البيئة المحلية وتوجيهها إلى التخلق بالعادات الكريمة والسلوك الحميد حين اندمج الناس فى محبة الله معا وتكونت من هذه الأخلاق ملامح الفن الإسلامى .

ومن الحرف والصناعات الزخرفية التى تميز بها الفن الإسلامى

١ ــ الصناعات الخشبية :

ازدهرت الصناعات الخشبية على اختلاف أنواعها طوال العصور الإسلامية فصنعت من الأخشاب عيدان الأقواس وطبالى تيجان الأعمدة والقباب الداخلية والخارجية فى القصور والمنازل والمساجد وأبوابها الداخلية والخارجية والمنابر والمشربيات بأنواعها والأسقف . وسواها من الإبداعات الخشبية التى شاعت فى قرطبة وبغداد والقاهرة وسواها من الدول العربية وكان له فضل عظيم على الحرف الخشبية الغربية فيما بعد .

٢ ــ زخرفة الأسطح الخشبية :

ساهمت الأساليب المستخدمة فى زخرفة الخشب فى تكوين زخارف بارزة بسطوح الأهشاب فى أوجه الأبواب وغيرها بنوعين مختلفين من الرسومات قل أن توجد كما استخدمت الكتابة الكوفية والنسخية ــ وكثيرا ما نونت الموضوعات المحفورة وذهبت لتزيد من عمق حفرها . ويتضح روعة هذا النوع من الفن فى الأفاريز التى تزين القصور وأيضا فى الجوامع من زخارف جصية كانت منارا للحفارين فى ذلك الأوان وسواها .

٣ ــ صناعة العاج والسن والأبنوس :

بلغت المصنوعات العاجية وما صنع من الأبنوس درجة فائقة من الرقى . غير أن ما بقى منها قليل فمنها الحشوات المحفورة المطعمة بالسن أو بالعظم إن كانت من الأبنوس أو مزخرفة بالحفر .

ولوحظ على هذه القطع شدة الإتقان مع صغر حجمها حتى أن ملابس النساء تحوى تفاصيل العصر ورسومه وببعضها زخارف نباتية .

٤ ــ الخط العربى فن وزخرفة :

كان للخط العربى دور فعال سواء من الناحية الفنية أو الإخبارية مما أكسبه التقدير والعناية فى التطوير وأدى به ذلك أن يتبوأ مكانته الممتازة الجديرة به ، وهو من العلامات المميزة للفنون الإسلامية ومنتجاتها لمرونته وسهولة تشكيله فى المساحات المخصصة له معبرا عن الإدراك السليم بأنواعه المختلفة منذ القرن الهجرى الأول .

واستخدم الخط الكوفى فى الكتابة التسجيلية التاريخية وفى تدوين المصاحف والكتابة على العمائر والعملات النقدية المتداولة . أما خط النسخ فقد خصص للمراسلات المعتادة لسهولة كتابته . وقد أضاف إليه الفنان من الزخارف والألوان البديعة مما زاد من جمال الخط ورونقه .

٥ ــ صناعة المنسوجات :

اشتهرت فى مصر صناعة المنسوجات الشغلة والرقيقة من الخرير وكانت هذه الحرفة دائمة التطور حيث كانت المنسوجات الأندلسية من حرير وكتان وما عليها من زخرفة ملونة بألوان بديعة كذلك طرزت بعض المنسوجات بالكتابة العربية ذات الدلالة حيث اختصت الأندلسية منها بكتابة عبارة (ولا غالب إلا الله) وتكرارها .

كما تبارت مصانع الكسوة فى مصر فى إجادة أنواعها وزخرفتها بأسلاك الذهب وكتابة آيات من القرآن .

٦ ــ الحفر فى الخشب :

بدأ الفنانون فى الفن الإسلامى بإضافة لمسات الجمال فى المصنوعات الخشبية بالحفر فيه حيث بدأ فى الأفاريز تحت الأسقف وفى أعمدتها وحشواتها وعلى حشوات الأبواب والمنابر مشتقين تصميماتهم من الفن الساسانى فى البداية ثم اعتمدت على الزخارف النباتية المتنوعة مستخدمين ما شوهد فى الفنون السابقة من ورق الكروم وثمرة وسعف النخيل معتمدين كلية على الزخارف النباتية الاصطلاحية للطراز الإسلامى .

٧ ــ التصوير فى الفن الإسلامى :

كان فن التصوير للأحياء محرما وذلك للقضاء على الوثنية فى شتى مظاهرها . فابتعد عنه المسلمون الأوائل حينا من الدهر واتجهوا إلى الزخارف النباتية التجريدية والأشكال النجمية والهندسية الأخرى وتفننوا فى تنويع الخطوط الكتابية لتكوّن معلومة وزخرفا فى نفس الوقت . ثم أتيح للمسلمين فى القرن السابع الهجرى تجسيد ذوات الروح . فلم يقتصر الأمويون على تصوير الجماد والنبات بل صوروا الحيوان ثم اجتازوا ذلك كله فى قصور الأندلس إلى تصوير الأمراء فى حفلات صيدهم بأبهى حللهم وأبدع مظاهرهم

وصوروا خيولهم وأبرز مثال على ذلك ظهور حرفة التصوير على صفحات مقامات الحريرى وإيضاح نوادر أبى زيد السروجى وبهما سجل لأزياء ذلك العصر وعاداته . وفى أيام الفواطم تبارى المصورون فى إبراز قدراتهم فوق الأسطح المختلفة من حفر فى الخشب أو تصوير على الجدران والخزف .

أما الفرس فقد تجاوزوا ما كان فى مصر والشام وصوروا الصحابة والأنبياء . وكان لفنهم أطوارا متتابعة متأثرين بالفن الصينى تارة أو بسلوك سبيلهم الخاص تارة أخرى فرسمت الصور والقصص زينة للقصور وبرز فى بلاد الفرس عباقرة .

أما فى بغداد فقد ازدهر التصوير على الخزف والأوانى الزجاجية والمشغولات الخشبية والمنسوجات .

٨ ــ استخدام الفسيفساء فى الزخرفة :

استخدم العرب فصوصا من الزجاج الملون أو المذهب وعند لصقها بجوار بعضها تتضح الصورة المطلوب نقلها للرائى وكذلك استخدمت قطع من رخام وأصداف وزجاج مذهب أو ملون فى تكوين الرسوم والصور النباتية والحيوانية وإبراز الأشكال النجمية .

٩ ــ زخرفة الحمامات العربية :

أخذت زخرفة الحمامات العربية مكانتها الفنية فازدادت برسومات حية فى حدود الحشمة والأدب . وصورت الطيور مع أشكال من الحياة السائدة فى ذلك الوقت (كالسقاة) حامل القربة ــ وأنواع العصافير والأشكال الهندسية والأطباق النجمية .. وكانت صورة مشرقة ولا يزال منها بقية فى بعض الأحياء بالقاهرة .

١٠ ــ صناعة الزجاج فى الفن الإسلامى :

رسخت بمصر تقاليد صناعة الزجاج منذ عهد الفراعنة وقد أثر ازدهار صناعة الزجاج على حرفة الخزف فزجج سطح الخزف الخارجى بعد تلوينه بألوانه البديعة ، كذلك استغل الزجاجون شفافية الزجاج فرسموا الزخارف وكتبوا الآيات القرآنية من داخل الزجاج أو من خارجه وكثيرا ما ذهبت الآيات القرآنية مرقوشة فوق أرضية زرقاء وصنعوا من الزجاج الصناعى أو الصخرى تحفا عجيبة وهو من الكريستال الطبيعى الفاطمى ومن أغلى التحف بالمتاحف الإيطالية . ومن الزجاج ما كان نصف شفاف ملون باللون الفيروزى أو الأخضر أو بسواهما كما برزت بعض قطع من زجاج ذات بريق معدنى فاكتسبت المصنوعات الزجاجية بذلك مظهرا جذابا فريدا فى زمانها بديعة الزخرف بهية التصميم ، هذا غير العديد من المشكاوات المموهة بالميناء فى المتحف العربى وابتكر زجاجو المسلمين نوعا فريدا من زجاج مزدوج الجدران ازدان كل جدار منها بزخرف خاص . وتفنن صناعهم فى عمل خيوط من عجينة الزجاج تشكل بشكل الإناء .

١١ ــ القمريات الزجاجية :

القمريات الزجاجية عبارة عن نوافذ من شرائح جصية أو من لوح من حجر جيرى لين يرسم عليه زخارف من النبات والزهور وترسم الزخارف ثم يفرغ مكان هذه الرسوم بحيث ترتبط ببعضها بالأربطة المناسبة المتصلة التى لا تنقص من جمال التصميم شيئا ثم يلصق الزجاج الملون من الخلف بحيث يتخلله النور فتبدو الرسومات الهندسية والنجمية وسواها جميلة واضحة . وكانت تعد لفتحات المساجد أو القصور أو المنازل .

١٢ ــ المصنوعات المعدنية :

تنوعت المشغولات المعدنية فى الفن الإسلامى من البرونز والنحاس التى

صنعت منها الثريات . أو صفحت به أبواب المساجد وزخرفت بالبديع من الزخارف أو زخرف سطحه بالذهب والفضة أو صدفت منه النصب كالموجود منها فى متحف باليرمو بإيطاليا أو العديد من أنواع الحلى والزينة المرصعة بالمجوهرات والأحجار الكريمة وخاصة فى العصر الفاطمى هذا غير الأوانى الذهبية والفضية المرصعة بالأحجار الملونة الغالية التى تتحدث عنها الدنيا فى ذلك الأوان .

صناعة الخزف فى الفن الإسلامى :

يوجد الخزف الإسلامى الأثرى فى أجزاء العالم فمنه أوان منقوشة بالزخارف البارزة أو ذات طلاء معدنى البريق وظهر فى العصر الطولونى الخزف المكبوس فى القوالب مزدانا برسم النباتات أو الحيوان أو بالأشكال النجمية أو الطيور ومن المعروف أن الخزف ذو البريق المعدنى هو ابتكار إسلامى رائع يتسم بحسن التوزيع وقد رسمت لوحات فنية بها رسوم آدمية أو حيوانية أو سواها .